من مشاهد الشرق

٢ ـ طائفة البهرا في الهند

في الطريق الى راعي الرعاة

بقلم محمد عزيه

ولأذن الله أن أبرح عدن إلى الهند ، فلم تبرح النفس توافة إلى رؤية الشيخ الأكبر لطائفة البهرا ، ولم تزل تستنفر عزيمتي حتى عاهدت كل منهما صاحبتها على أن تكون زيارة الشيخ أول ما أتكلف له بعد مطالعة (بمبي) ، فلم أكد أنيخ الراحلة في هذه المدينة ، حتى طالعتني أبناء هـذه الطائفة زرافات ووحداناً ؛ تموج بهم المدينة ؛ فهم في شوارعها ودروبها وحوانيتها يعرفون بطول اللحى ، وبالعمائم البيضاء ، و (البنطلونات) تحت المعاطف القصيرة ، وبالنشاط الذي لا يفتر ، وبالوقار الذي لا يُذهل عنه ؛ فانهم قوم جبلوا على النشاط حتى لتحسبهم في سرعتهم إذا ساروا وفي دأبهم إذا عملوا ، أضعاف أضعافهم ، هم لا يتجاوزون العشرين ألفاً في مدينة تزخر بمليون وثلثمائة ألف نسمة ؛ ولكن دأبهم جعل الواحد منهم عشرة أشخاص ، لا تكاد تراه هنا حتى تشهده هناك ، كأنه من عالم الأرواح ... هم كالموج المتلاطم على سطح المحيط ، يضيق به الخضم وهو منه كالحصاة من الجبل ، بل وتمضي السفن في طريقها تشق العباب ولا تحفل به ؛ حتى إذا دوى الموج وارتعدت فرقة ، واهتزت رعباً ، وكانت تهتز عجباً

ليس من جماعة البهرا من لا يجمع إلى فصاحة الأردية طلاقة الكجراتية ، ورطانة الانجليزية ؛ وليس فيهم من يعرب لباسه عن حاجة ، أو يتم ضعفه على هوان ، فكلهم عند نفسه كريم ، وفي قومه عزيز

كنت راغباً في زيارة الشيخ الأكبر ، فلم يزدني ما تحققته من طوابع طائفته إلا رغبة أمست رؤى ، وأصبحت هواجس ـ والشيخ لا يحظى بالاستئذان عليه إلا كل عظيم بارز في قومه ، ولا مناص ـ لمن شاء ـ من رجاء يتقدم به إلى رئيس الوزارة البهرية ، فاذا انتهى هذا به إلى الشيخ فأذن ، حدد الموعد بحساب الدقائق فيما لا يستنفد من الساعة إلا أقلها ، وعلى أن يذكر الزائر أن الدقيقة ستون ثانية ، والثانية ستون ثالثة ، فكأن دقات القلب لا تسعف في هذا الحساب

وكان أن تفضل الشيخ الأكبر ، فأذن لرئيس وزرائه أن يستقدمني ، ضاربا للقاء موعداً من مساء يوم قريب . . . فلما أن اقترب الموعد ، ركبت إلى قصر الشيخ ، وكبية الحجيج من أبناء الطائفة ، في (وال كِيشَر)

ووال كيشر ، هو من ثغر بمبي حي الطبقة الرفيعة من سراة الاقليم ، أقيم على ربوة عالية تطل على المحيط وتشرف على المدينة كلها ـ لكأنه نجم سها عن ذكره الفلكي ـ ليس بين قصوره وعمائره إلا متاحف تنطق بفني الهند وتفصح عن جاهها وترفع النقاب عن فنونها ـ من شاء أن يعلم أين تنصب كنوزها في هذا الحي السعيد مصبها ، وفيه يستحيل الذهب فنوناً ، وتقوم الرياض على قنة الجبل كأنها البنود المرفوعة . أليس زرعها يتماوج من مداعبة النسيم كما تتماوج البنود ، أليست مطرزة بألوان من الزهر مختلفات بين أحمر القرنفل وأبيض النرجس وأصفر الورد وأزرق البنفسج ، على صفحة من خضرة مذهبة ؟ ثم لعل ما ينفح الناس من طيبها فينبههم إلى تحيتها إذا أغفلوا ، إنما يقوم في موضع تلك القداسة المعنوية التي تنبه الناس إلى تحية العلم

بلغت السيارة بنا حي وال كيشر ، فتباطأت عند أقدامه وتهيأت للتصعيد في مراقيه ، وأخذت تطوي مسالكه ونحن في داخلها كأننا تحت أجنحة طائرة ، وقد مهد الطريق على شدة صعوده وكثرة منعرجاته ، وامتد الزرع على جانبيه ، وقد امتزج سكون الليل إذ ذاك وسكون العظمة يزدهي بها هذا الجبل الذي لا يحمل على أكتافه ، ولا يضم إلى صدره ، إلا العظماء وفنونهم ؛ فاذا رهبة زاد بلوغها في النفس هـذه الأضواء الخافتة التي تشع من مصابيح الطريق ، ولا راجل في مراقي هـذا الجبل بل سيارات تصعد بأهلها أو تهوي بهم فينة بعد فينة . وفيم يقدم الراجل على ركوب هـذا الجبل ؟ وهو لا ناقة له فيه ولا جمل ؟ أما خفوت الأضواء ، فلعل له غاية لا تمت بسبب إلى مبادئ الاقتصاد ، هذه المبادئ التي يلفظها هذا الجبل ، بل لعله يرتفع

بسا كنيه معتصما بالعلو من سيلها ، وعاصما لهم منه ، إنما هي دعوة الجمال ، ومن آياتها ألا يطغى النور الصناعي على النور الطبيعي ، على نور القمر وما أحاط به من كواكب

كنا نجتلي مفاتن هذا المنظر السحري ، والسيارة توغل فيه كأنما نسيت أنها تقصد بيتاً ، فاندفعت على غير هدى تريد أن تصل إلى أعماق هـــذا الابداع ؛ أما أنا فقد مرت بي برهة ما شككت أثناءها في أنني أترك العالم ، وفي أنني لن ألبث طويلاً حتى أبلغ ماوراء الكون ، وأهتدي إلى أسرار الخلق وغوامض الحياة والموت .. ثم ليكن ما يكون ، ومازالت أرواحنا تسمو ويخلص جوهرها من شوائب الدنيا وأعراضها وشهواتها حتى صارت كأنما فرغ الله من صنعها منذ طرفة عين ، ذلك كله والسيارة تهتز في منعطفات الجبل كأنها سكرى . . . . بل هي سكرى ! ولم لا ؟ وهي تسبح في خمر الطبيعة ، ثم لم لا ؟ ومن شأن هذا الجمال أن يشيع الحياة في الجماد

انتهينا إلى بوابة رحيبة الجانبين مفتوحة المصراعين ، وكلت حمايتها إلى حارسين عليهما أزياء الجند ، ما إن نفذت سيارتنا منها ، ثم هوت خطوات في جادة القصر ، حتى كنا في قلعة ذات أبراج ، تكاد تقطع بيننا وبين معالم الدنيا ، وكأنما أعدت لتقارع الفناء ، وليمتنع بها الأبد

ثم استقرت السيارة بنا في منتصف هذه الجادة عند ردهة على يمينها ذات ثلاثة أبواب ، وهنالك ابتدرنا خادمان ملتحيان هما من أبناء الطائفة بالسؤال ، فأجبنا ، وإن هي إلا برهة حتى استقبلتنا غرفة الانتظار عن يمين الردهة ، فلما شرعت إليها ساقي ، همس سائق السيارة في أذني بانجليزيته المفهومة على أي حال ، أن اخلع نعليك فذلك عند القوم سنة مؤكدة ، وقد فعلت ، ودخلت فإذا غرفة تتسع لنحو سبعة أمتار في نصفها ، صفت إلى جدرانها كراسي نظيفة ليست بالوثيرة ولا بالخشنة ، وكل أبهتها في سجادتها البيضاء ، المتسمة بأبهى الألوان في أبدع الشكول ، وفي تلك الصور القليلة تحف بها إطاراتها الثمينة ، وقد ثبتت إلى الجدران ، وبينها صورة الحرم القدسي رصعت بالأصداف ، وقد علمت أنها كانت فيما حمله وفد المؤتمر الاسلامي إلى الهند من هدايا ؛ فكانت نصيب هذه الغرفة

ظللت أتأمل محتويات الغرفة دقائق لعلها بلغت عشراً ، حتى أقبل عليّ رجل معتدل القامة كريم الوجه ، هو في ضحى العقد السادس من العمر ، ينبئ الجد في ملامحه والنفوذ في عينيه خلف منظاره الأبيض ، والانتصاب في قامته ، والهدوء في نبرات صوته ، عن أن له في هذه الدولة شأناً ؛ طويل اللحية أسودها ، يرتدي معطفاً قصيراً من أقمشة الصيف خفيف الاحمرار مشدوداً إلى عنقه ، تحته بنطلون من القماش نفسه ، وقد تعمم على طربوش ، فحيا ، ثم استوثق من أنني صاحب الموعد المضروب ، فاقتادني إلى مجلس داعي الدعاة

ذاك رئيس الوزارة البهرية ، وكاتم سر إمامها ، وأقرب القوم إلى نفسه ، وهو من وجوه المدينة وأعلام رجال المال فيها ، وهو ممن يلقي الحاكم إليهم سمعه ، ولا يضن بالطاعة له المحكوم . . . ثم هو قبل ذلك ومع ذلك وبعد ذلك ، خادم للشيخ لا يعدل بمرتبته تلك مرتبة إلا أن تكون في السماء

القاهرة **محمد نديم**

وزارة المعارف العمومية

اعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة وكيل المعارف المساعد للتعليم العام بوزارة المعارف بشارع الفلكي بمصر لغاية الساعة العاشرة صباحاً من يوم السبت الموافق ٧ سبتمبر سنة ١٩٣٥ ، عن توريد أدوات أشغال الابرة اللازمة لمدارس الوزارة في سنة ١٩٣٥/١٩٣٦ مثل بفتة وتيل أبيض وخيط أبيض وملون وأبر خياطة وصوف للحبك الخ ..وستفضل المصنوعات المصرية . ويمكن الحصول على شروط ومواصفات المناقصة المذكورة من إدارة المخازن بشارع درب الجماميز بمصر نظير دفع ثمنها وقدره مائة مليم